

## إبراهيم بن العباس الصولي

### حياته الخاصة والعامة:

في بغداد وفي عهد الرشيد السعيد، ولد إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، في بيت عُرف بالأدب والسياسة، وكان جده من رجال الدولة العباسية ودعاتها؛ وصول جد أبيه يدين بالمجوسية، أسلم في جرجان على يد يزيد بن المهلب، فأصبح له موثق، وأصل صول تركي الجنس، أقام في فارس، فنشأ أبناؤه على التشبه بأهلها.

وتخرج إبراهيم في مدينة المنصور بأخيه عبد الله بن العباس، وكان من وجوه الكتاب، وهو أسنُّ من أخيه بنحو عشرين سنة؛ وجاء إبراهيم آدب من عبد الله، وأحسن شعراً، وأحذق كتابة، وأعرق في البلاغة، وكان المطبوع فيه أكثر من المكسوب، علَّمه الدهر ما لم تعلمه الكتب، وأوحى إليه الزمن المؤدب ما لم يُوحه لرجل عاش في بيئة ضيقة، وعيش ضنك، وبيت حامل.

كان الصولي مجموعة ثقافات وعناصر؛ فيه الدم التركي والدم العربي، جاءه الدم العربي من أمه، وكان خاله العباس بن الأحنف من أشعر الشعراء في عصره، وربما كان إبراهيم يعرف التركية لغة آبائه، والفارسية لغتهم الثانية، بعد جلائهم إلى خراسان، أما ثقافته العربية، فأوسع ثقافة في لغة العلم والدين ولغة دولته العظيمة.

كان محيط الصولي متسع الرحاب وحياته كلها كذلك، دخل في خدمة الدولة كآبائه، يتولى بعض أعمال الإدارة، ويتعرف إلى رجالها ويختلط بهم، واطلع على عورات الناس ومحامدهم، وكشف سر مجتمعه وعلانيته، قلب الأخلاق والأعراق

كل مقلّب، وثافن العظماء، وعرف ما يرضيهم وما يغضبهم، وكتب للخلفاء وتأدب بأدابهم، كتب للمعتصم والواثق والمتوكل؛ وقلما ذهب رجل برضا الملوك إلا كانت له مزايا تنفع دولتهم.

وأصاب الصولي ما يصيب قربان<sup>(١)</sup> الملوك من السعادة ونقيضها، وعانى من الكبراء ما يعانى أمثاله ممن تطوخوا في الخدمة، وكان بعض ما نال مما أوقعته فيه المنافسة، وبعضه مما استحق عليه النكبة: جرى في طريقة رجال الدولة المطلقة المستبدة، فمثل صورة صحيحة من مجتمعه، على ما كان كلامه صورة صادقة من قلبه وفكره، ودخل فيما يدخل فيه نظراؤه من أرباب الولايات، وما خرج على مألوفهم، بل صرّب على وترهم، وحطب في حبلهم، تأمر على خصائمه وتأمروا عليه، وضربهم وضربوه، ومدح الناس ومدحوه، وثلبهم وثلبوه، وحسداهم وحسدوه، وكان في كل ما أتى مدفوعاً بنابل<sup>(٢)</sup> من تربية عصره ومصره، تجسدت فيه أخلاق عصره، فانعكس كل ما رأى على صحيفة شعره ونثره، فردده وردد عنه حتى عاد بعد أمثالا.

لما عزم المأمون على الفتك بالفضل بن سهل عرف الصولي ذلك من صديق له كان من بعض من وُضعوا له، فما رأى إلا القيام بحسن الصنيعة مع الفضل، وقد عاش هو وأخوه عبد الله في حمايته واصطناعه، ورفع منهما وحثاً عليهما، فأخبر الفضل بما يُدبر له، وانتهى الخبر إلى المأمون، فعرف أن الصولي قد أبلغ الفضل ما يُراد به، فطلبه فاستتر، ثم عفا عنه بما بلغه عنه من جواب لطيف، دل على بُعد نظر وذكاء.

(١) القربان: جليس الملك الخاص.

(٢) النابل: السائق.

بدأت حياة إبراهيم في السياسة ومن المعتصم، وسار سيرة أرباب الإدارة إذ ذاك، يأخذ ويعطي من مال الأمة والدولة، ويُقلد كبار العمال في مظاهرهم، ولا يتعفف عن مال ومتاع؛ كان مظهرًا من مظاهر العاملين في الدولة، يستمتع بخيراتها أتى وجدها، ويفوقهم بأنه كان على جانب عظيم من المروءة وسعة الفضل؛ ولا عجب أن سار الصولي هذه السيرة، وقد كان في زمن يكتب فيه مثل أبي العيناء النديم إلى صديق له ولي ولاية: «واعلم أن الخيانة فطنة، والأمانة حرفة، والجمع كيس، والمنع صرامة، وليس كل يوم ولاية، فاذا ذكر أيام العطلة، ولا تحقرن صغيرًا، فإن من الدور إلى الدور، وإيلاء الولاية رقة، فتنبه قبل أن تنبه، وأخو السلطان أعمى، عن قليل سوف يبصر، وما هذه الوصية التي أوصى بها يعقوب بنيه، ولكن رأيت الحزم في أخذ العاجل، وترك الآجل».

وموطن الضعف من أخلاق الصولي أنه كان كما أراد أبو العيناء يأخذ العاجل ولا يبالي، ويدب إليه ديب الوشاة، فينجو مرات، ويعطب مرات. روى الجهشيارى أنه لم يكن للصولي تقدم في الخراج على بلاغة فيه، وكان بينه وبين أحمد بن المدبر تباعد، وكان أحمد مقدمًا في الكتابة، فقال أحمد بن المدبر للمتوكل: قلدت إبراهيم بن العباس ديوان الضياع، وهو متخلف في هذا الشأن، لا يحسن منه قليلًا ولا كثيرًا، وطعن عليه طعنًا قبيحًا، فقال المتوكل: في غد أجمع بينكما. واتصل الخبر بإبراهيم فأيقن بحلول المكروه، وعلم أنه لا يفي بأحمد بن المدبر في صناعته، وغدا إلى دار السلطان آيًا من نفسه ونعمته، وحضر أحمد فقال له المتوكل: قد حضر إبراهيم وحضرت ومن أجلكما قعدت، هات، اذكر ما كنت فيه أمس، فقال أحمد: أي شيء أذكر عنه فإنه لا يعرف أسماء عماله في النواحي، ولا يعلم ما في دساتيرهم من تقديراتهم وكيولهم، وحمل من حمل منهم ومن لم يحمل، ولا يعرف أسماء النواحي التي تقلدها، وقد اقتطع أصحابه بناحية كذا كذا ألفًا، واختلت ناحية كذا في العمارة، وأطال في ذكر هذه الأمور؛ فالتفت المتوكل إلى إبراهيم

فقال: ما سكوتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين جوابي في بيتي شعر قلتهما، فإن أذن أمير المؤمنين أنشدتهما. فقال: هات. فأنشده:

ردّ قولي وصدّق الأقوالاً      وأطاع الوشاة والعذالاً  
أتراه يكون شهر صدود      وعلى وجهه رأيت الهلالاً

وقيل: إن إبراهيم لما سمع كلام ابن المدبر ضاقت عليه الحجة، وخاف أن يحقق قوله إن اعترف، ثم لا يرجع منه إلى شيء فيعود عليه الغرم، فعدل عن الحجة إلى الحيلة فأنشد البيتين.

وفي رواية: أن الخليفة لما سمع ما سمع قال: لا يكون ذلك، والله لا يكون ذلك أبداً. والتفت إلى الواشي وقال له: كيف تقبل في المال قول صاحبه.

وفي رواية ثانية: أن المتوكل قال لما سمع البيتين: زه زه أحسنت؛ إيتوني بمن يعمل في هذا لحناً، وهاتوا ما نأكل وجيئوا بالنساء، ودعونا من فضول ابن المدبر، واخعلوا على إبراهيم بن العباس، فخلع عليه وانصرف إلى منزله.

قالوا: ومكث إبراهيم بن العباس يومه مغموماً، فقيل له: هذا يوم سرور وجذل بما جدد الله لك من الانتصار على خصمك، فقال: الحق أولى بمثلي وأشبهه، إني لم أدفع حجة أحمد بحجة، ولا كُذِّب في شيء مما ذكر، ولا أنا ممن يعشره في الخراج، كما أنه لا يُعشرني<sup>(١)</sup> في البلاغة، وإنما فُلجت<sup>(٢)</sup> برطازة<sup>(٣)</sup> ومخرقة، أفلا أبكي فضلاً عن أن أغتم من زمان يدفع هذا كله.

(١) لا يبلغ معشاره. يقال: فلان لا يعشر فلاناً ظرفاً؛ أي: لا يبلغ معشاره، وعشرت (بتشديد الشين) القوم تعشيراً إذا كانوا تسعة فجعلتهم عشرة، وعشرتهم (بفتح الشين): إذا أخذت واحداً فصاروا تسعة.

(٢) الفلج: الطفر، وَيَقْلُجُ وَيَقْلُجُ في الكل.

(٣) والرطازات مخففة: الخرافات.

وبهذه الواقعة تمثل لنا أدب الصولي، وضعفه فيما وسد إليه من عمل اعترف بإهماله في أعماله، حتى ترك المجال لخصمه يسقطه في نظر الخليفة؛ وكأن ابن المدبر رماه بما رماه وهو موقن بأن هذا الإهمال لا بد أن يكافئه عليه عمله، ويعطوه بعض ما يجنون، فتضيع حقوق الدولة، وتهمل مصالح الرعية.

(ما كل مرة تسلم الجرة) فقد صار الصولي إلى زمن ما استطاع أن يدفع عن نفسه بغير ما ملكت يده. كان في سنة (٢٣٣) على الأهواز، وكان صدقه محمد بن عبد الملك الزيات وزيراً، فوجه إليه من أقامه للناس، فصالحه عن نفسه بألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، وأحذر الصولي بعد ما قبض عليه إلى بغداد لأخذ ما له بها، وأخذوا غلامه وكان قهرمانه، في يده أمواله يتجر بها، وأخذوا عدة من أهل بيته، وأخذ معهم حمل بغل من الدنانير، ووجدت له بيوت فيها أنواع التجارة، وكان جميع ما قبض له، مع ما وجد قيمة تسعين ألف دينار، وأمر المتوكل بحبسه، فقال إبراهيم يخاطب الوزير صديقه القديم:

|                          |                                   |
|--------------------------|-----------------------------------|
| وكنـت أخـي بأرـخي الزمـا | ن فلـمـا نبـا عـذت حـربـا عـوانـا |
| وكنـت أذمُّ إليـك الزمـا | ن فأصـبـحت فيـك أذم الزمـانـا     |
| وكنـت أعـسـدك للـنائبـا  | ت فهـا أنا أطلـب منـك الأمانـا    |

وقال:

|                         |                                           |
|-------------------------|-------------------------------------------|
| أصـبـحت من رأي أبي جعفر | في هـيـئـة تنـذر بالـصـيلم <sup>(١)</sup> |
| من غير ما ذنب ولكنها    | عداوة الزنديق للمسلم                      |

وذكر من ترجعوا للصولي أن الذي تولى أمر كشفه تحامل عليه تحاملاً شديداً، فكتب إبراهيم إلى الوزير محمد بن عبد الملك:

(١) الصيلم: الأمر الشديد والداهية.

فلو إذ نبادهرو أنكر صاحب      وشلط أعداء وغاب نصير  
تكون عن الأهواز داري بنجوة<sup>(١)</sup>      ولكن مقادير جرت وأمور  
وإني لأرجو بعده هذا عمداً      لأفضل ما يُرجى أخ ووزير

والسبب في العداوة بين محمد بن عبد الملك الزيات وإبراهيم بن العباس الصولي: أنه لما ولي ابن الزيات وزارة المعتصم نقص إبراهيم عما يستحقه من الدعاء، فلم تحتمل ذلك نفسه ورياسته، وموضعه من الصناعة والدولة، فعاتبه في ذلك فلم يُعْتَبِه، فألهب له نار هجاء لا يطفئها الدهر، فزعم إبراهيم أن ابن الزيات ما ظن أن الرياسة تنجذب إليه، ولا أن العز يتحصل له، إلا بحط إخوانه عن منزلتهم، ونقصهم عن مرتبتهم، ثم نظم ذلك في شعر فقال:

من رأى في المنام مثل أخ لي      كان عوفي على الزمان وخلي  
رفعته حال فحاول حطي      وأبى أن يُعَزَّزَ إلا بنلي

وكان هذا الخطاب في أول الأمر، ثم أنحى عليه بالهجاء، وكان محمد بن عبد الملك، على علمه وأدبه، وكونه واحداً في صناعته، مفرداً في براعته، لا يخلو من لؤم أحياناً.

ولما وقف الخليفة على تحامل ابن الزيات رفع يده عن إبراهيم، وأمره أن يقبل منه ما رفعه، ويرده إلى الحضرة مصوناً، ثم ولاه ديوان زمام النفقات، وتولى أيضاً الضياع، فبسط إبراهيم لسانه في ابن الزيات، وهجاه هجاءً كثيراً منه:

قدرت فلم تضرر عدواً بقدرة      وسمت بها إخوانك الذل والرغما  
وكنت ملياً بالتي قد يعافها      من الناس من يأبى الدنية والذما

وقال فيه أيضاً:

(١) النجوة: ما ارتفع من الأرض.

أبا جعفر خفّ خفضة بعد رفعة<sup>(١)</sup> وقصر قليلاً عن مدى غلوائكا  
فلئن كنت قد أوتيت عزاً ورفعة<sup>(٢)</sup> فلئن رجائي في غدٍ كرجائك

وقال فيه أيضًا:

دعوتك في بلوى ألت صروفها فأوقدت من ضغن عليّ سعيها  
ولئن إذا أدعوك عند ملة كداعية بين القبور نصيرها

ومما قال فيه:

أخ كنت آوي منه عند أدكاره إلى ظل آباء من العزباذخ  
سعت نوب الأيام بيني وبينه فأقلعن منا عن ظلوم وصارخ  
ولئن وإعدادي لدهري عمداً كملتس إطفاء نار بنافخ

وقال فيه:

فلئن تكن الدنيا أنالتك ثروة فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر  
فقد كشف الإثراء منك خلائقاً من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وتغيّر الزمان، ورأى ابن الزيات تغيراً من الواثق فخافه، وفرق مالا عظيماً، وجوهرًا نفيساً، في ثقاته ومعامله من التجار، والصولي (يعاديه ويرصد له بالمكاره لإساءته إليه)، فنظم أبياتاً وأشاعها حتى بلغت الواثق يُغريه به؛ وفي السنة التي قبض فيها ابن الزيات على الصولي، هلك ابن الزيات في حبس المتوكل.

ولما أمر المتوكل إبراهيم بن العباس الصولي أن يكتب فيما كان أمر به من تأخير الخراج حتى يقع في خمس من حزيران ويقع استفتاح الخراج به، كتب في ذلك كتابه

(١) في رواية: (أبا جعفر خف نبوة بعد دولة).

(٢) في الأغاني بدل هذه الشطرة: (لئن كان هذا اليوم يوماً حويته)؛ وفي رواية: (فإن يك هذا اليوم يوماً حويته).

المعروف، وأحسن فيه غاية الإحسان، فدخل عبيد الله بن يحيى على المتوكل فعرفه حضور إبراهيم بن العباس وإحضاره الكتاب معه، فأمر بالإذن له فدخل وأمره بقراءة الكتاب فقرأه، واستحسنه عبيد الله بن يحيى وكل من حضر؛ قال البلاذري: فدخلني حسد له، فقلت: فيه خطأ، قال فقال المتوكل: في هذا الكتاب الذي قرأه عليّ إبراهيم خطأ؟ قال: قلت: نعم. قال: يا عبيد الله وقفت على ذلك؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما وقفت فيه على خطأ. قال: فأقبل إبراهيم بن العباس على الكتاب يتدبره، فلم ير فيه شيئاً، فقال: يا أمير المؤمنين الخطأ لا يعرى منه الناس، وتدبرت الكتاب خوفاً من أن أكون قد أغفلت شيئاً وقف عليه أحمد بن يحيى فلم أر ما أنكره، فليعرفنا موضع الخطأ. قال: فقال المتوكل: قل لنا: ما هو هذا الخطأ الذي وقفت عليه في هذا الكتاب؟ قال: فقلت: هو شيء لا يعرفه إلا علي بن يحيى المنجم ومحمد بن موسى، وذلك أنه أرّخ الشهر الرومي بالليالي، وأيام الروم قبل ليلائها، فهي لا تؤرخ بالليالي، وإنما يؤرخ بالليالي العرب؛ لأن ليلائها قبل أيامها بسبب الأهلة. فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين هذا ما لا علم لي به ولا أدعي فيه ما يدعي. قال: فغير تاريخه.

وقد عُرف من سيرة الصولي أنه كان يستمتع بمباهج الحياة ومناعمها، ويتبسط في مجالسه مع عثرائه، ويصرف جانباً من وقته في اللهو، ومداعبة الغواني والقيان. هوى جارية لبعض المغنين بسر من رأى يقال لها: شاهر شهر بها، وكان منزله لا يخلو منها، وله معها وقائع ونجنيات، وقال فيها أشعاراً كثيرة وكانت هي شاعرة، وكانت تهواه أيضاً، فعاتبها وعاتبته، وغازلها وغازلته، وما زالا كذلك حتى فرّق الموت بينهما.



وكان الصولي كان يرى من حقه أن يحب، ومن حقه أن يطرب ويمجن، وأن يسمع الغناء والموسيقى، ويخلع أثواب الوقار في بعض ساعات يومه، وما كان يرى في ذلك بأساً، بل يعتقد أن هذه الملاهي مما يخفف من تعبته، ويزيد في الإمتاع بأدبه. ولقد قال له بعضهم ذات يوم: قد أخلت نفسك ورضيت أن تكون تابعاً أبداً، لاقتصارك على القصف واللعب، فأنشأ يقول:

إنما المرء صورة      حيث حَلَّتْ تناهت  
أنا منذ كنت في التـ      صرف<sup>(١)</sup> لي حال ساعتي

وهذا سرُّ تخلفه في عمله الإداري، يُلقِي الحبل على الغارب، ويلتفت لإرضاء نفسه بما تصبو إليه من راحة ونعيم، وربما كان ذلك من دواعي معاداته بعض رجال الدولة، ومنهم من كان يريد أن يستوفي مال السلطان منه، فيما يُؤلاه من الأعمال الجليلة، ومنهم من يحاول أن يشاطره مغانمه، ويريده أن ينزل على إرادته، أو يصادره ويسعى به إلى السلطان.

استلزمت حياة الصولي الخاصة تعرّف طرق الأخذ من المال، وإنفاقه فيمن كان يحيط به من الناس، وهو في كرمه على أخلاق عالية، ولعله كان من المتعذر في ذاك العصر أن يعتصم العامل بعصمته من كل وجه، ويعف عن كل منكر؛ ولو فعل ذلك لقصت الحال أن ينعزل في رأس جبل أو يأوي إلى بعض الرباطات يجاهد في سبيل الله قانعاً مخبئاً. والمجتمع لا يعيش بهذا المقتر، ولا بذاك المسرف.

(١) التصرف: الاستخدام.

## أدبه وكتابته:

كأن ملكة النثر والنظم كانت كالشيء الواحد في نظر الصولي، إن شاء نثر، وإن شاء شعر، والإجادة مكتوبة له في كلتا الوجهتين، وما كان شعره لولا أوزانه وقوافيه إلا نثرًا، وبعمل قليل يُحَال نثره شعرًا وشعره نثرًا. كان إبراهيم بن العباس إن قال الشعر كأنه يخطب أو يكتب، وإذا كتب الكتاب وخطب الخطاب كان كأنه يشعر، فأكذب من قالوا: إنه لا إجادة لشاعر في الكتابة، ولا لكاتب في الشعر، فهو إمام في الصناعتين، فرد في الكتابة، وبحق دُعي كاتب العراق، وعدّ في زمرة أعظم الشعراء؛ وهذا من أندر ما وقع لمن عانوا صناعة القلم منذ القديم وإلى اليوم.

يقول المسعودي: إنه لا يُعلم فيمن تقدم وتأخر من الكُتّاب أشعر منه، وكان دُغْبِل يقول: لو تكسب إبراهيم بالشعر لتركنا في غير شيء، وتعجب من قوله:

إن امرأ ضنَّ بمعروفه      عنني لمبذول له عذري  
ما أنا بالراغب في خيره      إن كان لا يرغب في شكري

قال ابن رشيقي: والكتّاب أرق الناس في الشعر طبعًا، وأملحهم تصنيعًا، وأحلاهم ألفاظًا، وأطفهم معاني، وأقدرهم على تصرف، وأبعدهم من تكلف؛ وقد قيل: الكُتّاب دهاقين الكلام، وما نزيدك على قول إبراهيم بن العباس الصولي بين يدي المتوكل حين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر، فقال ارتجلاً:

صدّ عنّي وصدّق الأقوالا      وأطاع الوشاة والعذالا  
أتراه يكون شهر صدود      وعلى وجهه رأيت الهللا

وكان أحمد بن يحيى ثعلب يقول: إبراهيم بن العباس أشعر المحدثين، وما روي

شعر كاتب غيره، وكان يستجيد قوله:

لنا إيل كوم<sup>(١)</sup> يضيق بها الفضا      ويغبرّ منها أرضها وسماؤها  
فمن دونها أن تستباح دماؤنا      ومن دوننا أن تستباح دماؤها  
حمى وقرى فالوت دون مرامها      وأيسر خطب يوم حق فناؤها  
ويقول: والله لو أن هذا لبعض الأوائل لاستجيد له.

وسُمع إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام الطائي، وقد أنشده شعراً له في المعتصم: يا أبا تمام أمرء الكلام رعية لإحسانك، فقال أبو تمام: لأنّي استضيء بك وأردّ شرعتك.

ولما قرأ إبراهيم على المتوكل رسالته إلى أهل حمص: أما بعد؛ فإن أمير المؤمنين يرى من حمد الله عليه بما قَوِّمَ به من أود، وعدّل به من زَنِغ، ولمّ به من منتشر، استعمال ثلاث، يقدم بعضهن أمام بعض، أولاهن ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف، ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف، ثم التي لا يقع بحسم الداء غيرها.  
أناة فلان لم تغنِ عقب بعدها      وعيداً فلان لم تغنِ أغنت عزائمه

عجب المتوكل من حسن ذلك، وأوماً إلى عبيد الله، أما تسمع؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن إبراهيم فضيلة خباها الله لك، واحتبسها على أيامك؛ وهذا أول شعر نفذ في كتاب عن خلفاء بني العباس.

وكتب عن أمير المؤمنين إلى بعض البغاة الخارجين يتهدهم ويتوعدهم، وما زاد أن وضع خمس كلمات في أول البيت السابق، فأصبح كتاباً منشوراً قال: «أما بعد؛ فإن لأمر المؤمنين أناة، فإن لم تغن عقب بعدها وعيداً، فإن لم تُغن أغنت عزائمه، والسلام».

(١) الكوم بضم الكاف: قطعة من الإبل.

واشتهر إبراهيم بإيجازه في رسائله؛ ومن ذلك رسالة له أنشأها في بعض العصاة الذين نصبت جثثهم لاعتبار: «قسم الله عدوه أقسامًا ثلاثة: روحًا معجلة إلى دار عذاب الله، وجثة منصوبة لأبصار أولياء الله، ورأسًا منقولًا إلى مقر خلافة الله».

حدث أبو بكر الصولي عن العباس بن محمد قال: أنشدني إبراهيم بن العباس في مجلسه في ديوان الضياع:

ربما تجزع النفوس من الأمر      له فرجة كحلّ العقال  
ونكت بقلمه ثم قال:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى      ذرعًا وعند الله منها المخرج  
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها      فرجت وكان يظنها لا تفرج

قال: فعجبنا من سرعة طبعه، وجودة قريحته؛ وشاعت الأبيات الثلاثة في المتأخرين حتى أصبحت مما لا يكاد يغفل عن التمثل بها أحد، وكذلك كثير من أبياته، وقلّ في الناس من يعرف ناظمها.

ومما ذكروا من بدائع بدائمه: أنه خرج ودعبل الخزاعي وأخوه رزين في نظراء من أهل الأدب رجالة إلى بعض البساتين في خلافة المأمون، وذلك في زمن خول إبراهيم، فلقوا جماعة من أهل السواد من حمال الشوك، فأعطوهم شيئًا وركبهم حميرهم، فأنشأ إبراهيم يقول:

أعيضت عن حمل الشو      لك أحمالاً من الحزف  
نشاوى لا من الصهبأ      بل من شدة الضعف

فقال رزين:

فلو كنتم على ذاك      تملينون إلى قصف

تسارت حالكم فيه  
فقال دعبل:

وإذ فات الذي فات  
ومرّوا نقصف اليوم  
ثم باع خفه وأنفق ثمنه عليهم.

ومما أنشد الصولي ثعلباً لنفسه:  
كم قد تجرعت من حزن ومن غصص  
وكم غضبت فما باليتم غضبي  
إذا تجدد حزن هوّن الماضي  
حتى رجعت بقلب ساخط راضي

قال أبو بكر الصولي كأنه أخذه عندي من قول خاله العباس بن الأحنف:  
تعلمت ألوان الرضا خوف عتيها  
ولي غير وجه قد عرفت مكانه  
ومما يتمثل به من شعره قوله:

ورب أخ ناديت به للممة  
ومما أثر له:

لا تمدحن ابن سهل إن وجدت له  
فليس يمنع إبقاء على نكسب  
لكنها خطرات من وساوسه  
فعلاً جميلاً ولا تعذل إذا أزم<sup>(١)</sup>  
وليس يعطي الذي يعطيه معتزماً  
يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرمًا

(١) أزم العام: اشتد قحطه.

ربما كان لإبراهيم دوران أخصب فيها شعره ونثره، دور افتتانه بتلك القينة الشاعرة في سامراء، ودور اضطهاد محمد بن عبد الملك الزيات له، وهياج النفس بالحب، وهياج النفس بالشدة، مدعاة إلى تفتح القريحة عند بعض الناس؛ فمن كتبه يستعطف ابن الزيات: «كتبت إليك وقد بلغت المدية المحزّ، وعدت الأيام عليّ، بعد عدوي بك عليها، وكان أسوأ ظني وأكثر خوفي أن تسكن في وقت حركتها، وتكف عند أذاتها، فصرت عليّ أضّرّ منها، وكفّ الصديق عن نُصرتي خوفاً منك، وبادر إليّ العدو تقرباً إليك» وكتب تحت ذلك:

|                    |                    |
|--------------------|--------------------|
| أخ بيني وبين الدهر | ر صاحب أيننا غلبا  |
| صديق ما استقام فإن | نبادهر عليّ نبا    |
| وثبت على الزمان به | لعدا به أخوا حديبا |
| ولو عاد الزمان لنا |                    |

وكتب إليه: «أما والله لو أمنت ودك لقلت، ولكني أخاف منك عتياً لا تنصفني فيه، وأخشى من نفسي لائمة لا تحتملها لي، وما قدّر فهو كائن، وعن كل حادثة أهدوثة، وما استبدلت بحالة كنت فيها مغتبطاً، حالة أنا في مكروها وألمها أشد عليّ من أيّ فزعت إلى ناصري عند ظلم لحقني، فوجدت من ظلمني أخفّ في ظلمي منه، وأحمد الله كثيراً».

ولما انحرف الوزير عن الصولي تحاماه الناس أن يلقيه، وكان الحارث المغني صديقاً له مصافياً، وهجره في من هجره من الإخوان، فكتب إليه:

|                          |                            |
|--------------------------|----------------------------|
| تغير لي فيمن تغير حارث   | وكم من أخ قد غيرته الحوادث |
| أحارث إن شوركت فيك فطلما | غنينا وما بيني وبينك ثالث  |

دخل أحمد بن المدبر على إبراهيم بعد خلاصه من النكبة مهنتاً، وكان استعان به في أمر النكبة فقعد عنه، وهو الذي كان جاهره العداوة في حضرة المتوكل، وأغضى الخليفة عما تُسب إلى الصولي، وكان بلغه أن ابن المدبر حرّض عليه ابن الزيات، فقال الصولي:

وكنّت أخي بالدهر حتى إذا نبا  
فلا يوم إقبالي عددتك طائلاً  
وما كنت إلا مثل أحلام نائم  
وله فيه أيضاً:

لو قيل لي خذ أماناً  
لما أخذت أماناً  
وقال:

بلوت الزمان وأهل الزمان  
فأوحشني من صديقي الزمان  
وقوله:

يا أحمالم أر في الدهر خلاً  
كنت لي في صدر يومي صديقاً  
قبله أسرع هجرًا ووصلاً  
فعلى عهدك أمسيّت أم لا

\*\*\*

حكى الجهمشيارى قال: رأيت دفترًا بخط إبراهيم بن العباس الصولي فيه شعر قاله في حبس موسى بن عبد الملك، أخي محمد بن عبد الملك الوزير، يصف غليظ ما هو فيه من الحبس، وثقل الحديد والقيد، ويذكر موسى في شعره، وكان يكنى بأبي الحسن، فكناه بأبي عمران. فقال في قصيدة طويلة:

كم تُرى يبقى على ذا بدني      قد بلى من طول همي وفنى  
أنسا في أسر وأسباب ردى      وحديد فسادح يكلمُنني  
وأبو عمران موسى حنق      حاقداً يطلبنسي بالإحني  
ليس يشفيه سوى سفك دمي      أويراني مدرجاً في كفن

وقد كتب أحمد بن المدبر بخطه في ظهر هذا الدفتر:

أبا إسحاق إن تكن الليالي      عطفن عليك بالخطب الجسيم  
فلم أرَ صرف هذا الدهر يجري      بمكروه على غير الكريم

وله أبيات في الغزل والنسيب فيها إبداع جميل، ومنها:

وعلمتني كيف الهوى وجهته      وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي  
وأعلم مالي عندكم فيردني      هواي إلى جهلي فأرجع عن علمي

وقال وأورده أبو تمام في الحماسة:

وثبتت ليل أرسلت بشقاعة      إليّ فهل نفس ليلي شفيها  
أأكرم من ليلي عليّ فتبتغي      به الجاه أم كنت امرأ لا أطيعها

وقال:

تدانت بقوم عن تناء زيارة      وشطاً بليلى عن دنو مزارها  
وإن مقيمات بمنعرج اللوى<sup>(١)</sup>      لأقرب من ليلي وهاتيك دارها

وقال:

وليلي كمثل النار ينفع ضوءها      بعيداً نأى عنها ويمرق جارها

ومما قال في حسن الحديث:

(١) اللوى كإلى: ما التوى من الرمل.



إن الزمان وما ترين بمفرقي  
وضجرت إلا من لقاء محدث  
ومن قوله:

لا تلمني فإن همك أن تشـ  
كيف يستطيع حفظ ما جمعت كفـ  
رى وهمي مكارم الأخلاق  
سأه من ذاق لذة الإنفاق

ومن إشارات:

لا يمنعك خفض العيش في دعة  
تلقى بكل بلاد إن حللت بها  
نزوع نفس إلى أهل وأوطان  
أهلاً بأهل وجيراناً بجيران  
وقال:

لا تُنْيِيكَ بطـوس  
أصبحت بعد طلاق  
بل نهني بك طوساً  
بك بالفضل عروساً (١)

وقال في أبي الوليد أحمد بن أبي الورد:

عَفَّتْ مساوٍ تبت منك فاضحة  
لئن تقدمت أبناء الكرام بها  
على محاسن أبقاها أبوك لكـ  
لقد تقدم آباء اللئام بكـ

وقال:

وأنت هوى النفس من بينهم  
فما بك إن بعدوا وحده  
وأنت الحبيب وأنت المطاع  
ولا معهم إن بعدت اجتماع

(١) هذه رواية الثعالبي في المنتحل، وروايته في كتابه نثر النظم وحل العقد هكذا:

فلقد أصـبحت اليـوس  
م بك الطـبوس عروساً

ومما نسب إليه:

كن كيف شئت وقل ما تشا      ء وأبرق يمينًا وأرعد شمالا  
نجا بك لؤمك منجى الذبا      ب حمته مفاذره أن يُثالا

ومن تغزله:

أراك فلا أردُّ الطرف كيلا      يكون حجابُ رؤيتك الجنون  
ولو أني نظرتُ بكل عين      لما استقصت محاسنك العيون

ومن شعره وهو مما صار في حُكم الأمثال شيوخًا، وقيل: هو لأبي تمام الطائي،  
وهو الأرجح:

أؤكّي البرية طرًا أن تؤاسيه      عند السرور الذي آساك في الحزن  
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا      من كان يالفهم في الموطن الخشن

وأشد الأخفش من شعر الصولي الأبيات الثلاثة التالية، وكان يفضلها  
ويستجديها:

أميل مع الصديق على ابن<sup>(١)</sup> أمي      وأقضي<sup>(٢)</sup> للصديق على الشقيق  
ولما تلقني حرًا مطاعًا      فإنك واجدي عبد الصديق  
أفرّق بين معروفي ومني      وأجمع بين مالي والحقوق

قال المسعودي: ومما استحسّن من شعره الذي لم يسبقه عند جماعة أهل الأدب  
أحد من زمانه قوله: «لنا إبل كُوم يضيق بها الفضاء» إلخ.

وهي الأبيات الثلاثة التي تقدمت، وكان ثعلب يستحسنها.

(١) في رواية: ابن عمي.

(٢) رواية: وآخذ.

ويقول أبو هلال العسكري في ديوان المعاني، ومن المديح البارع قول إبراهيم بن العباس:

أَسَدٌ ضَارٍ إِذَا هِجَتْهُ      وَأَبٌّ بَرٌّ إِذَا مَا قَدَرَا  
يَعْلَمُ الْأَبْعَدُ<sup>(١)</sup> إِنْ أَثْرَى وَلَا      يَعْلَمُ الْأَدْنَى إِذَا مَا افْتَقَرَا

قال: وقد أحسن إبراهيم في قوله:

إِمَّا تَرِنِي أَمَامَ الْقَوْمِ مُتَبَعًا      فَقَدْ أَرَى مِنْ وَرَاءِ الْخَيْلِ أَتْبَعَ  
يَوْمًا أَنْيَخَ فَلَا أَبْقِي عَلَى نَشَبٍ      وَأَسْتَبِيحُ فَلَا أَبْقِي وَلَا أَدْعُ  
لَا تَسْأَلِي الْقَوْمَ عَنْ حَيِّ صَحْبَتِهِمْ      مَاذَا صَنَعْتَ وَمَاذَا أَهْلَهُ صَنَعُوا

ونقل له قوله:

فَكُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَقُلْ مَا تَشَاءُ      وَأَبْرِقْ يَمِينًا وَأَرْعِدْ شِمَالًا  
إِلَى آخِرِ مَا وَرَدَ آتِفًا.

قال: وهذه الأبيات وإن كانت مشهورة، فإن لإيرادها هاهنا معنى كبيرًا، وذلك أني لست أجِدُ خيرًا منها في معناها وأجود.

وقال المرزباني أيضًا: وأنشدني أبو أحمد، أنشدني أبو مسلم بن بحر لإبراهيم بن العباس، وهي أبيات مشهورة أوردها لأنني لست أجِدُ مثلها في معناها:

وَلَمَّا رَأَيْتُكَ لَا فَاسِقًا      تَهَابُ وَلَا أَنْتَ بِالزَّاهِدِ  
وَلَيْسَ عَدُوُّكَ بِالْمُتَّقِي      وَلَيْسَ صَدِيقُكَ بِالْحَامِدِ  
أَتَيْتَ بِكَ السُّوقَ سَوِّقَ الرَّقِيبِ      قُفْنَا دَيْتَ هَلْ فِيكَ مِنْ زَائِدِ  
عَلَى رَجُلٍ غَادِرٍ بِالصَّدِيدِ      قُفْنَا كَفُورٍ لِنَعْمَائِهِ جَاوِدِ

(١) في رواية: (يعرف) بدل (يعلم) في الموضعين.

فما جاءني رجل واحد  
سوى رجل حار منه الشقا  
فبعثك منه بلا شاهد  
وأبئتُ إلى منزلي سالماً  
يزيد على درهم واحد  
وحلّت به دعوة الوالد  
مخافة أدرك بالشاهد  
وحلّ البلاء على الناقد

قال: وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد. قال: ومن ظريف  
الشكاية قول إبراهيم:

فدعني راغماً أشقى بوجدي  
سقام لا يرق عليّ منه  
وقد أصفيته ودي بجهدي  
وخذ قلبي إليك بغير حمد  
ووجه لا يكافئه بـود  
فعارض في الجفاء بمثل جهدي

ومما يجب على الرؤساء أن يحفظوه قوله:

تزيده الأيام إن أقبلت  
كأنها في وقت إسعافها  
حزماً وعلماً بتصاريفها  
تُسمعه صوت تخاريفها

ومما أحسن فيه وبرّز على نظرائه قوله:

سقيّاً ورعيّاً لا يام لنا سلفت  
كذلك أيامنا لا شك نندبها  
بكيت منها فصرت اليوم أبكيها  
إذا تقضت ونحن اليوم نشكيها

وقال:

قلت لها حين أكثرت علـ  
قالت فأين الكرام قلت لها  
يَّ ويحك أشرت بنا المروءات  
لا تسألني عنهم فقد ماتوا

وقال:

خلّ النفاق لأهلـه  
وارغب بنفسك أن تُرى  
وعليك فالتمس الطريقا  
إلا عدواً أو صديقاً

وقال:

وعابك أقوام فقالوا شبيهة  
لئن شبهوك البدر ليلة تمه  
أي شبه بدر أقل نصف شهره  
ببدر الدجى حاشاك أن تشبهى البدر  
لقد قارنوا الشنعاء واقترفوا الوزرا  
ضياء منيرًا يطلع الشهر والدهرا

ومن قوله في الفضل بن سهل وهو كسائر شعره كأنه نثر:

لفضل بن سهل يد  
فبسطتها للغنى  
وباطنها للندى  
تقاصر عنها المثل  
وسطوتها للأجل  
وظاهرها للقبيل

وقوله:

تمر الصبا صفحًا بساكن ذي الغضا  
قريبة عهد بالحبيب وإنما  
وزالت زوال الشمس عن مستقرها  
تطلع من نفسي إليها نوازع<sup>(١)</sup>  
ويصدع قلبي أن يهب هبوبها  
هوى كل نفس حيث حل حبيبها  
فمن مخبري في أي أرض مغيبها  
عوارف أن اليأس منك نصيبها

ومما ينسب إليه:

يؤمن عليكم بأموالكم  
وتعطون من مائة واحدًا

ونقل المرزباني:

ومؤمل للتائبات إذا  
لما رأي نهب حادثة  
هب الزمان بأزره هبا  
جعل الذخائر دونها نهبها

ونقل له ياقوت قوله:

(١) في رواية: طوالع.

ولكن الجواد أباه شام      وفي العهد مأمون المغيب  
بطيء عند<sup>(١)</sup> ما استغنيت عنه      وطّاع عليك مع الخطوب

فقال: إن هذا من نادر الشعر وجيده. وقال أيضًا: ومن أحسن ما قيل في قصر  
الليل قول إبراهيم بن العباس:-

وليلة من الليالي الزهر      قابلت فيها بدرها يندر  
لم تك غير شفق وفجر      حتى تولّت وهي بكر الدهر

ومن شعره والناس يروونه لغيره:

ليلة كاد يلتقي طرفاها      قصرًا وهي ليلة الميلاد

وهكذا تكاد لا ترى للصولي إلا البيتين والثلاثة، ومنها ما يغني عن قصيدة أو  
قصائد. ذكروا أن عبد الله بن العباس وهب لأخيه إبراهيم بن العباس ثلث ماله،  
ووهب لأخته الثلث الآخر، فصار مساويًا لهما في المال. فقال إبراهيم:

ولكن عبد الله لما حوى الغنى      وصار له من بين إخوته مال  
رأى خلة منهم تُسدّ بهاله      فساهمهم حتى استوت بهم الحال

وكان لإبراهيم ابن قد يفزع وترعرع، وكان مُعجبًا به، فاعتلّ علة لم تطل حتى  
مات، فرثاه مرثي كثيرة، وجزع عليه جزعًا شديدًا، فمن مرثيه:

أنت السواد لمقلّة      تبكي عليك وناظر  
من شاء بعدك فليمت      فعليك كنت أحاذر

(١) في رواية: بطيء العهد ما استغنيت عنه.

قال الحسين بن علي الباقر: شاورت أبا الصقر قبل وزارته في أمر لي، فعرفني الصواب. فقلت له: أنت -أيذك الله- كما قال إبراهيم بن العباس في هذا المعنى:

أتيتك شتى الرأي لابس حيرة      فسددتني حتى رأيت العواقب  
على حين ألقى الرأي دُوني حجابَه      فجبت الخطوب واعتسفت المذاهب

فقال: لا تبرح والله حتى أكتب البيتين، فكتبتهما له بين يديه بخطي.

### نثره وطريقته:

خلطنا نثر الصولي بشعره، وكان الغرض أن تقتصر على نثره دون شعره، والإنشاء مرمانا في هذه الورقات، ولكن هكذا جاء؛ وفي شعره كما في نثره ما يُتَعَلَّم منه ويُتَحَذَى، وشعره لمن يحاول أن يترجم له أصدق وثيقة تترجم عنه، ثم إن الباقي من شعره كثير، لا يوازيه المأثور من نثره. وللصولي فيما ذكره ابن النديم كتاب ديوان رسائله، وكتاب ديوان شعره، وكتاب الدولة كبير، وكتاب الطيخ، وكتاب العطر، وكلها في المفقودات.

يقول المسعودي: إن الصولي كان يتكسب في حدائته بشعره، ورحل إلى الملوك والأمراء، ومدحهم طلباً لجدواهم. وقال: إن له مكاتبات قد دُونت، وفصولاً حسناً من كلامه قد جمعت. ومما استحسن من فصوله، وكلها في نهاية الجودة: «وقديماً»<sup>(١)</sup> غدت المعصية أبناءها، فحلبت عليهم من دَرَّها مرضعة، وبسطت لهم من أمانها مطعمة، وركبت فيهم مخاطرهما موضعاً، حتى إذا رتعوا فأمنوا، وركبوا

(١) في رواية عريب في صلة تاريخ الطبري أن أول هذه الرسالة هكذا: وقسم الله عدوه ثلاثة: روحاً معجلة إلى عذاب الله، وجنة منصوبة لأولياء الله، ورأساً منقولاً إلى دار خلافة الله، استزلوه من معقل إلى عقال، وبدلوه آجالاً من آمال، وقديماً... إلخ.

فاطمأنوا، وانقضى رضاع وآن فطام، سقتهم سماً ففجرت مجاري ألبانها دمًا، وأعقبتهن من حلو غذائها مُرًا، وحطت بهم من معقل إلى عقال، ومن حسرة إلى حسرة، قتلاً وأسراً، وإباحة وقسراً، وقلَّ من أوضع في الفتنة مرهجاً<sup>(١)</sup> في لهبها، واقتحم لهبها مؤججاً، إلا استقحمته آخذة بمخنقه، وموهنة بالحلق كيده، حتى تجعله لعاجله جرزاً<sup>(٢)</sup>، ولأجله حطباً، وللحق موعظة، وللباطل حجة، ذلك لهم جزاء في الدنيا، ولعذاب الآخرة أكبر، وما ريك بظلام للعبيد.

كان الكاتب عبد الله بن عمرو من بني (عبد كان) المصريين يستصغر كتاب سُرَّ من رأى، لما وردھا، ولا يرضى أحدهم، فلما أدخلوه على إبراهيم بن العباس، وهو يملي رسالة في قتل إسحاق بن إسماعيل، سمع ما أعجبه فقال: هذا من لم تلد النساء مثله، فإني سمعته يملي شيئاً كأنه فيه نذير مبين.

ومن كلامه: ووجد أعداء الله زخرف باطلهم، وقمويه كذبهم، سراباً بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، وكوميض برق عرض فأسرع، ولع فاطمع، حتى انحسرت مشرقة مغاربه، وتشعبت مولية مذاهبه، وأيقن راجيه وطالبيه، ألا ملاذ ولا وَزَرَ، ولا مورد ولا مصدر، ولا من الحرب محصر، وهناك ظهرت عواقب الحق منجية، وخواتم الباطل مردية، سنة الله فيما أزاله وأداله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولا لقضائه تحويلاً.

وله في غرض التعزية رسالة منه إلى الخليفة الواثق بالله يعزيه بالمعتصم: إن أحق الناس بالشكر من جاء به عن الله، وأولاهم بالصبر من كان سلفه رسول الله، وأمير المؤمنين أعزه الله، وآباؤه نصرهم الله، أولو الكتاب الناطق عن الله بالشكر، وعتره

(١) أرهج الغبار: أثاره.

(٢) أرض جرز وجرز وأجرز وجرز ومجروزة: لا تنبت أو أكل نباتها أو لم يصبها مطر.



رسوله المخصوصون بالصبر، وفي كتاب الله أعظم الشفاء، وفي رسوله أحسن العزاء، وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله، ومن مشيئة الله في ولاية أمير المؤمنين الواصل بالله، ما عفى أوله على آخره، وتلافت بدأته عاقبته، فحق الله في الأولى الصبر، وفرض في الأخرى الشكر، فإن رأى أمير المؤمنين أن يستجيز ثواب الله بصبره، ويستدعي زيادته بشكره، فعل إن شاء الله وحده.

وله تعزية على لسان الخليفة إلى طاهر بن عبد الله مولى أمير المؤمنين، وقد يجيد الكاتب إذا كتب لنفسه، ولا يجيد إذا كتب بلسان غيره؛ إلا أن إبراهيم في ذلك سواء وغاية، قال:

«أما بعد؛ تولى الله توفيقك وحياطتك، وما يرتضيه منك ويرضاه عنك، إن أفضل النعم نعمة تُلقيت بحق الله فيها من الشكر، وأوفر حادثة ثوابًا حادثة أدى حق الله فيها من الرضا والتسليم والصبر، ومثلك من قدم ما يجب لله في نعمة فشكرها، وفي مصيبة فإطاعه فيها، وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد بن إسحاق مولى أمير المؤمنين -عفا الله عنه- قضاءه السابق والمتوقع، وفي ثواب الله ورضا أمير المؤمنين -أدام الله عزه- وتقدير ما يقدم مثله أهل الحجا والفهم، ما اعتاضه معتاض، وقدمه موفق، فليكن الله عز وجل وما أطعته به، وقدمت حقه فيه، أولى بك في الأمور كلها، فإنك إن تتقرب إليه في المكروه بطاعته يحسن ولايتك في توفيقك لشكر نعمه عليك».

ومن توقيعاته توقيع كتبه في كتاب عامل له يعتد بحسن أثر، ويمت بمقام محمود: يا هذا لست أشك أن لك أثرًا في التوفير كان من تقدمك مقصرًا عنه، وأنتك معني محتاط، غير أنك عفيت على ما أحدثت منك بما يتناهى إليّ عنك على السن المتظلمين وأصحاب الأخبار. وذكر لي فلان ما جرى بينك وبين أخيه ما كثر وصفه

له، وقام منه وقعد، وتالله لأكونن الباحث عليك والمطالب لك دونه، لإقدامك على شيخ ابن ستين سنة بما أقدمت به عليه، وأُفّ لدنيا اضطرت إليكم فكتتم خيار من يعلم فيها، وأبرأ إلى الله من أعمالكم التي رجعتم بها إلى أنفسكم ونياتكم.

ومن تحميداته في فتح:

فالحمد لله المزيل لما يمهّد المبطلون، ويمكر به الماكرون، ويكيد به الملحدون، تمكيناً لعبده وخليفته، وذنباً<sup>(١)</sup> عن دينه وحقه، وإظهاراً لأولياته وحزبه، وإمضاء لعزائمه<sup>(٢)</sup> وقدرته، منعماً قادراً، وعملياً ممهلاً، عدلاً إذا استدرج، متفضلاً إذا أنعم، حمداً به يُستنزل نصره، ويُبلغ به رضوانه، ويُمتري<sup>(٣)</sup> بمثله فواضل مزیده.

ومن آخر:

والحمد لله بجميع محامده التي تُحمد بها على جميع آلائه، وجميل بلائه، فيما ولى به خليفته، ونصر به دينه، وأقام به حقه، وأقرّ به وليه، وقمع به من ألد<sup>(٤)</sup> عن سبيله، حمداً يؤدي حق نعمته، ويوجب به أفضل مزیده، بمنه وطوله.

وله في فتح إسحاق بن إسماعيل:

الحمد لله معز الحق ومديله، وقامع الباطل ومزيله، الطالب فلا يفوته من طلب، والغالب فلا يعجزه من غلب، مؤيد خليفته وعبده، وناصر أولياته وحزبه، الذين أقام بهم دعوته، وأعلى بهم كلمته، وأظهر بهم دينه، وأدال بهم حقه، وجاهد

(١) ذب عنه: دفع ومنع.

(٢) عزائم الله: فرائضه.

(٣) مرى الشيء: استخرجه كما تراه.

(٤) ألد: مال وعدل.

بهم أعداءه، وأنار بهم سبيله، حمدًا يتقبله ويرضاه، ويوجب أفضل عواقب نصره، وسوايغ نعمائه.

وله تحميد آخر:

أما بعد؛ فالحمد لله الأول بلا أبد يحصى، والآخر بلا أمد يفنى، الظاهر خلقه بعزته، العزيز سلطانه بعظمته، الفرد بوحدانيته بقدرته، المدبر في ملكه بجبروته، الذي نأى عن الأشياء أن يكون فيها محويًا، واتصل بها فلم يكن من علمًا خليئًا، وهو فيها غير مستكنٍّ، ومعها غير مماسٍّ، في لجج البحار، ومفاوز القفار، وشوامخ الجبال، وكثبان الرمل، مع كل خلق، في كل أفق، وعلى كل شرف ومكان، وفي كل وقت وأوان، موجود إذا طلب، وقريب حيث نُدب، عالم خفيات الغيوب، وخطرات القلوب، وما في السموات وما في الأرض، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.

ومن توقيعاته ما وقع به لرجل مَتَّ إليه بحرمة:

«تقدمت بحرمة مألوفة، ووسيلة معروفة، أقوم بواجبها وأرعاها من جميع جوانبها». وورد إليه كتاب بعض الكتاب بدم رجل ومدح آخر فوقَّع في كتابه: «إذا كان للمحسن من الجزاء ما يقنعه، وللمسيء من النكال ما يقمعه، بذل المحسن الواجب على رغبة، وانقاد المسيء للحق رهبة»، فوثب الناس يقبلون يده.

وكتب شفاعة لرجل إلى بعض إخوانه:

فلان مما يزكو شكره، ويحسن ذكره، ويعينني أمره، والصنيعة عنده واقعة موقعها، وسالكة طريقها:

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحجا إصابة شكر لم يضع معه أجر

وقال: الكريم أوسع ما تكون مغفرته، إذا ضاقت بالمذنب معذرتة.

ومن مشهر كلامه: أتاني فلان في وقت استقل فيه لحظة الفرح.

وقال: كأن ابن أخي خلق من ثلاث أشياء: من الثلج والمصل والعذرة، بارد حامض متن. وكان يقول: مثل أصحاب السلطان مثل قوم علوا جبلاً ثم وقعوا منه، أقربهم من التلف أبعدهم من الارتقاء.

وقيل له: إن فلاناً يجب أن يكن لك ولياً. فقال: أنا والله أحب أن يكون الناس جميعاً إخواني، ولكني لا آخذ منهم إلا من أطيق قضاء حقه، وإلا استحالوا أعداء؛ وما مثلهم إلا كمثل النار قليلها مُقْنِع، وكثيرها مُحْرَق. وكان يقول: مثل الأصدقاء كالنار، قليلها متاع، وكثيرها بوار. وقال: لو وُزنت كلمات النبي عليه السلام: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم» بكلام أهل الأرض لرجحت.

كتب الصولي على لسان المتوكل إلى عمّاله في الآفاق كتابه بأخذ أهل الذمة كلهم بلبس الطيالة العسلية والزنانير. قال: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فإن الله - تبارك وتعالى - بعزته التي لا تُحاول، وقدرته على ما يريد، اصطفى الإسلام فرْضِيَه لنفسه، وأكرم به ملائكته، وبعث به رسله، وأيد به أوليائه، وكنفه بالبر، وحاطه بالنصر، وحرسه من العاهة، وأظهره على الأديان، مبراً من الشبهات، معصوماً من الآفات، محبواً بمناقب الخير، مخصوصاً من الشرائع بأطهرها وأفضلها، ومن الفرائض بأزكاها وأشرفها، ومن الأحكام بأعدها وأقنعها، ومن الأعمال بأحسنها

وأقصدتها، وأكرم أهله بما أحلَّ لهم من حلاله، وحرَّم عليهم من حرامه، ويبيِّن لهم من شرائعه وأحكامه، وحدَّ لهم من حدوده ومناهجه، وأعدَّ لهم من سعة جزائه وثوابه فقال في كتابه فيما أمر به ونهى عنه، وفيما حضَّ عليه فيه ووعد: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون}. وقال فيما حرم على أهله مما عمت<sup>(١)</sup> فيه من رديء المطعم والمشرب والمنكح لينزعهم عنه، وليطهر به دينهم، ليفضلهم عليهم تفضيلاً: {حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخقة} إلى آخر الآية. ثم ختم ما حرَّم عليهم من ذلك في هذه الآية بحراسة دينه ممن عندَّ عنه، وبإتمام نعمته على أهله الذين اصطفاهم، فقال عز وجل: {اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشوني} \* اليوم أكملت لكم دينكم {الآية، وقال عز وجل: {حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم {الآية، وقال: {إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان} الآية، فحرَّم على المسلمين من مآكل أهل الأديان أرجسها وأنجسها، ومن شراهم أدعاه إلى العداوة والبغضاء، وأصدَّه عن ذكر الله وعن الصلاة، ومن مناكحهم أعظمها عنده وزراً، وأولاها عند ذوي الحجا والألباب تحريماً، ثم حباهم محاسن الأخلاق وفضائل الكرامات، فجعلهم أهل الإيمان والأمانة، والفضل والترحام، واليقين والصدق، ولم يجعل في دينهم التقاطع والتدابير، ولا الحمية ولا التكبر، ولا الخيانة ولا الغدر، ولا التباغي ولا التظالم، بل أمر بالأولى ونهى وعن الأخرى، ووعد وأوعدها جنته وناره، وثوابه وعقابه. فالمسلمون بما اختصهم الله من كرامته، وجعل لهم من الفضيلة بدينهم الذي اختاره لهم، باثنون على الأديان بشرائعهم الزاكية، وأحكامهم المرضية الطاهرة، وبرهاناتهم المنيرة، وبتطهير الله دينهم، بما أحلَّ وحرَّم فيه، لهم وعليهم، قضاء من الله عز وجل

(١) عمت عرضه: عابه وثلبه كاعتبطه.

في إعزاز دينه حتّى، ومشية منه في إظهار حقه ماضية، وإرادة منه في إتمام نعمته على أهله نافذة، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة، وليجعل الله الفوز والعاقبة للمتقين، والخزي في الدنيا والآخرة على الكافرين.

وقد رأى أمير المؤمنين -وبالله توفيقه وإرشاده- أن يحمل أهل الذمة جميعاً بحضرته، وفي نواحي أعماله، أقربها وأبعدها، وأخصهم وأخصهم، على تصيير طيالستهم التي يلبسونها من لبسها من تجارهم وكتابهم، وكبيرهم وصغيرهم، على ألوان الثياب العسلية، لا يتجاوز ذلك منهم متجاوز إلى غيره، ومن قصر عن هذه الطبقة من أتباعهم وأرذالهم، ومن يقعد به حاله عن لبس الطيالة منهم، أخذ بتركيب خرقتين صبغهما ذلك الصبغ، يكون استدارة كل واحدة منهما شبراً تاماً في مثله، على موضع أمام ثوبه الذي يلبسه، تلقاء صدره ومن وراء ظهره، وأن يؤخذ الجميع منهم في قلائسهم بتركيب أزرة عليها يخالف ألوانها ألوان القلائس، ترتفع من أماكنهم التي تقع بها لثلاث تلصق فتستر، ولا يركب منها على حباك<sup>(١)</sup> فيخفى، وكذلك في سروجهم، باتخاذ ركب الخشب لها ونصب أكر على قرابيسها<sup>(٢)</sup> تكون ناتئة عنها وموفية عليها، لا يرخص لهم في إزالتها عن قرابيسهم وتأخيرها إلى جوانبها، بل تتفقد ذلك منهم، ليقع ما وقع من الذي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليه ظاهراً يبينه الناظر من غير تأمل، وتأخذه العين من غير طلب، وأن تؤخذ عبيدهم وإماؤهم، ومن يلبس المناطق من تلك الطبقة، بشد الزنانير والكساتيج<sup>(٣)</sup> مكان المناطق التي كانت في أوساطهم، وأن توزع إلى عمالك فيما أمر به أمير المؤمنين في ذلك، إيعازاً تحذوهم به إلى استقصاء ما تقدم إليهم فيه، وتحذوهم إدهاناً وميلاً،

(١) القدة التي تظم الرأس إلى خشبة القتب.

(٢) القربوس كحلزون: حنو السرج.

(٣) الكستيج بالضم: خيط غليظ يشده الذي فوق ثيابه دون الزنار.

وتتقدم إليهم في إنزال العقوبة بمن خالف ذلك من جميع أهل الذمة عن سبيل عناد وتهوين إلى غيره، ليقصر الجميع منهم على طبقاتهم وأصنافهم على السبيل التي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليها، وأخذهم بها إن شاء الله.

فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره، وأنفذ إلى عمالك في نواحي عملك ما ورد عليك من كتاب أمير المؤمنين بما تعمل به إن شاء الله. وأمير المؤمنين يسأل الله ربه ووليه، أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وملائكته، وأن يحفظه فيما استخلفه عليه من أمر دينه، ويتولى ما ولاه مما لا يبلغ حقه فيه إلا بعونه، حفظاً يحمل به ما حمله، وولايةً يقضي بها حقه منه، ويوجب بها له أكمل ثوابه وأفضل مزيده، إنه كريم رحيم.

«وكتب إبراهيم بن العباس في شوال سنة خمس وثلاثين ومائتين».

هذا ما أمكن التقاطه من كلام الصولي، وعدّه صاحب العقد في جملة من نبّل بالكتابة وكان قبل خاملاً فاستحق اسمها، وعدّه ابن النديم في البلغاء الخُذْث. وفي كتاب الأوراق: اجتمع الكتاب عند أحمد بن إسرائيل فذكروا الماضين من الكتاب، فأجمعوا أن أكتب من كان في دولة بني العباس أحمد بن يوسف وإبراهيم بن العباس، وأن أشعر كتاب دولتهم إبراهيم بن العباس ومحمد بن عبد الملك الزيات؛ فإبراهيم أجودهما شعراً، ومحمد أكثرهما شعراً؛ ثم الحسن بن وهب وأحمد بن يوسف، وأن أذكرى كتاب الدولة وأجمعهم لمحاسن الكتابة من ذكاء وخط وفطنة: جعفر بن يحيى وإسماعيل بن صبيح. وقال صاحب الأغاني: كان محمد بن عبد الملك الزيات شاعراً مجيداً لا يقاس به أحد من الكتاب، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك؛ وكان إبراهيم مقلّاً، وصاحب قصار ومقطعات؛ وكان محمد شاعراً يطيل فيجيد، ويأتي بالقصار فيجيد، وكان بليغاً حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب. وقال آخر: كلام

إبراهيم بن العباس نمط واحد قد أسدته القريحة، وألحمته الغزارة، فاتصل أوله بآخره، ووارد به بصادره.

ولعل حب التأنق الذي غلب عليه منذ نشأته الأولى، دعاه إلى أن لا يخرج من كلامه إلا المجلود المنقح، وأن يعتمد إلى الإيجاز في منظومه ومثوره، لا يكتب إلا ما رأى بعينه، وتحيله بحسه ونفسه، (وكان إذا قال شعراً اختاره وأسقط رذله وأثبت نخبته)، وإذا كتب أوجز وألبس المعنى قالباً شفافاً من نسجه، ليس بالفضفاض المسترسل، ولا بالضيق المخنوق. ذكره أبو زيد البلخي فقال: «كان من أبلغ الناس في الكتابة، حتى صار كلامه مثلاً». والمثل لا يدور على الألسن إلا لاختصاره، والشعر لا تتناقله الألسن إلا لسهولة حفظه، ولما فيه من إيقاع ووزن وتساوق. ولا يزال المتصفح لكلامه يقع له على المعنى الكثير في الجملة القصيرة، فكان حقاً كما قالوا: «كاتباً من أشعر الكتاب وأرقهم لساناً، وأسيرهم مثلاً» وهو «أشعر نظرائه الكتاب... وأشعاره قصار، ثلاثة أبيات ونحوها إلى العشرة، وهو أنعت الناس للزمان وأهله غير مدافع»، وهذا من أعظم ما امتاز به؛ لأنه عرف أخلاق الناس في نكته.

وأبان إبراهيم عن طريقته وسبب نجاحه في تنضيد درره فقال: ما اتكلت في مكاتبتني قط إلا على ما يجلبه خاطري، ويجيش به صدري، إلا قولي: وصار ما يُحرزهم يُبرزهم، وما كان يعقلهم يعتقلهم. وقولي في رسالة أخرى: فاستنزله من معقل إلى عقال، وبدلوه آجالاً من آمال. فإني أملت بقولي آجالاً من آمال بقول مسلم بن الوليد الأنصاري المعروف بصريع الغواني وهو:

موفٍ على مُهَجٍ في يوم ذي رهج      كأنه أجل يسعى إلى أمل

وفي العقل والعقال بقول أبي تمام:



فإن باشر الإصحار فالبيض والقنا      قراه وأحواض المنايا مناهله  
وإن يسبني حيطاناً عليه فإنها      أولئك عقالاته لا معاقله  
ولا فأعلمه بأنك ساخط      عليه فإن الخوف لا شك قاتله

ذكر شعر الكتّاب بحضرة إبراهيم بن العباس فقال: أشعرهم عندي الذي  
مزحه أفصح وأحسن من جد الناس. وكان يقول: ما تنيت كلام أحد أن يكون لي  
إلا قول عبد الحميد بن يحيى: الناس أصناف متباينون، وأطوار متناوتون، منهم علق  
مضنة لا يباع، ومنهم غلّ مضنة لا يُتباع.

ولعل أعظم سبب في توفيقه وتفوقه زهده في الغريب من اللفظ، وتشبهه  
بأهداب المعنى أكثر من كل شيء، واعتداده بعفو القريحة ووحى الساعة. قال أبو  
الغيث: كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً، فنقطت من القلم نقطة  
مفسدة، فمسحها بكمه، فعجبت، فقال: لا تعجب، المال فرع والقلم أصل. ومن  
هذا السواد جاءت هذه الثياب، والأصل أحوج إلى المراعاة من الفرع، ثم فكر قليلاً  
وقال:

إذا ما الفكر وَلَدَ حسن لفظ      وأسلمه الوجود إلى العيان<sup>(١)</sup>  
ووشاه ونممه بيان      فصيح في المقال بلال لسان  
تري حلل البيان مُنشرات      تضاحك بينها صور المعاني

وكان يقول: المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من منشئه. وقال: الكتب  
موات، ما لم يوقع فيها توقيع الختم وتختم، فإذا فعل ذلك بها عاشت. وقال لغلام

(١) روى الصولي في أدب الكتاب هذا البيت هكذا:

إذا ما الفكر أظهر حسن لفظ      وأداه الـضمير إلى العيان

كان يكتب بين يديه: «ليكن قلمك صلبًا بين الدقة والغلظ، ولا تبره عند عُقده، ولا تجعل في أنبوه أنبوه، ولا تكتبن بقلم ملتوٍ، ولا بذى شق غير مستوٍ، واختر من الأقلام ما يضرب إلى السمرة، وأحدّ سكينك ولا تستعملها لغير قلمك، وتعهده بالإصلاح يصلح، وليكن مقطّعتك صلبًا ليمضي الخط مستويًا لا مستطيلًا، وإبر قلمك بين التحريف والاستواء، وإذا كتبت الدقيق فأمل قلمك إلى إقامة الحروف لإشباع الخط، وإذا جللت فألى التحريف، واعلم أن تبطين القلم سُؤم، وتحريفه حرن، وهما دمار الخط، واعلم أن وزن الخط مثل وزن القراءة، فأجود الخط أبينه، كما أن أحمد القراءة أبينها».

وبعد، فإن إبراهيم بن العباس أحد أركان البيان في عصره، كان كما قال فيه أبو الشبل لما رآه يكتب:

ينظم اللؤلؤ المتشور منطقَه      وينظم الدر بالأقلام في الكتب

توفي إبراهيم بن العباس الصولي في سنة (٢٤٣هـ).